الباب الأول: الإطار التمهيدي للبحث

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد؛

فإنّ أي بحث علمي رصين يقوم على بنية منهجية واضحة، تبرز من خلال تحديد الإطار التمهيدي الذي يضيء معالم الطريق ويعرّف بموضوع الدراسة، وسياقها العام، ومشكلتها المركزية، وأهدافها، ويُعدّ هذا الباب من الأبواب الجوهرية في البحوث الأكاديمية؛ لأنه يشكّل القاعدة التي تُبنى عليها المباحث التالية، ويوفر الخلفية اللازمة لفهم دوافع الدراسة وأهميتها.

وفي ضوء ذلك، يهدف هذا الباب إلى رسم الصورة العامة للبحث، عبر تحديد موضوعه بدقة، وبيان دواعي اختياره، والسياق العلمي الذي يندرج فيه، مع صياغة المشكلة البحثية التي يسعى إلى معالجتها، والأسئلة المحورية التي يتناولها، كما يعرض الباب أهم الأهداف التي يتوخى البحث تحقيقها، وبيان الدراسات السابقة التي تُشكّل الخلفية المعرفية له.

ويحظى هذا الباب بأهمية خاصة في هذه الدراسة، التي تتناول ظاهرة التصنيف في كتب الأربعينات الحديثية ذات الطابع الصوفي، لكونه يسلّط الضوء على ملامح هذه الظاهرة من حيث التوجه العام، والدوافع التربوية والروحية التي أثّرت في بنيتها، والموقع الذي تحتله في خريطة التأليف الحديثي، كما يمهّد هذا الإطار التمهيدي للدخول إلى فصول البحث المتخصصة، ويتيح فهمًا أوضح للأبعاد المعرفية والمنهجية التي يقوم عليها.

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

الفصل الأول: الخلفية العلمية والموضوعية للبحث

تمهيد:

تُشكّل كتب الأربعينات الحديثية إحدى الظواهر الفريدة في التراث الإسلامي، حيث انتقل التأليف فيها من مجرد جمعٍ عددي إلى بنية معرفية تحمل في طيّاتها مقاصد تعليمية، وتربوية، وروحية، وقد شغلت هذه الظاهرة حيّزًا واسعًا لدى المحدّثين، كما استثمرها الصوفية في خدمة مقامات السلوك والتزكية، فامتزج فيها النص النبوي بروح الذوق الصوفي، وظهر من خلالها جهدٌ تأليفي يربط بين الصناعة الحديثية من جهة، والمنظومة التربوية الروحية من جهة أخرى.

ويهدف هذا الفصل إلى تأصيل الخلفية العلمية والموضوعية للبحث من خلال مقاربة جذرية لهذه الظاهرة التأليفية؛ باستقراء نشأتها التاريخية، وتحليل مناهجها ومقاصدها، وبيان موقعها في السياق العام للعلوم الإسلامية، لا سيما علاقتها بالتوجهات الصوفية في التأليف الحديثي.

وقد تم تقسيم هذا الفصل إلى أربعة مباحث أساسية، يعالج كل منها زاوية محددة في تكوين هذه الظاهرة وتطورها، كما يُمهّد لقراءة تحليلية لاحقة في البابين الثاني والرابع.

ففي المبحث الأول، يُتناول البعد التاريخي لظهور هذا اللون من التصنيف، وتتبع أوائل المؤلفات الأربعينية ودوافعها المعرفية.

وفي المبحث الثاني، يتم تسليط الضوء على تطور مقاصد المؤلفين من مجرّد الحفظ إلى غايات علمية وتربوية متنوعة، تكشف عن عمق في الوعي المنهجي.

ثم يُخصص المبحث الثالث لتحليل العلاقة العضوية بين كتب الأربعينات والنسق الصوفي، من حيث التوظيف الذوقي للنص الحديثي، واشتغالها على بناء المقامات الروحية.

ويُختتم الفصل بـالمبحث الرابع الذي يعرض نماذج منتقاة من كتب الأربعينات الصوفية، مع تقديم قراءة تحليلية أوليّة لمنهجها، ومقاصدها، وخصائصها، ويُعد هذا الفصل بوابة منهجية لفهم السياق العلمي للبحث، كما يوفر أرضية نقدية لتحليل الظاهرة في ضوء تفاعل علم الحديث والتصوف ضمن النسيج المعرفي الإسلامي.

المبحث الأول: النشأة التاريخية لكتب الأربعينات الحديثية

تمهيد:

يُعدّ نمط "الأربعينات الحديثية" من الأنماط المتميزة في التأليف الإسلامي، والذي ارتبط بالسنة النبوية بوصفها مصدرًا أصيلاً من مصادر المعرفة والتربية في الإسلام، وقد نشأ هذا النمط من التصنيف في بيئة علمية تهتم بجمع الأحاديث وحفظها وتداولها، ليكون وسيلة لترسيخ مفاهيم تربوية وعقدية وسلوكية، وتيسير حفظ الحديث النبوي وفهمه، ثم تطوّر في مناهجه ومقاصده عبر العصور.

أولًا: بدايات التأليف الأربعيني في القرن الثاني الهجري:

ترجع أصول هذا النمط إلى بدايات القرن الثاني الهجري، حيث تُنسب أول محاولة في جمع أربعين حديثًا إلى الإمام عبد الله بن المبارك (ت: 181هـ)، وإن لم تكن على النحو الذي اشتهر لاحقًا من الترتيب الموضوعي أو الغرضي، وقد جاء هذا التأليف في سياق اهتمام مبكر بجمع الأحاديث النبوية القصيرة في مجموعات يمكن حفظها بسهولة، وكانت هذه المحاولة قائمة في الأساس على الجمع دون التبويب أو التحليل.

وقد وافقت هذه المحاولة نزعة تربوية وعملية في التعليم الديني، حيث سهلت من مهمة المتعلمين في حفظ الأحاديث النبوية واستحضارها في مجالس الذكر والتدريس، كما لبّت حاجة الوعّاظ والخطباء في الاستشهاد بنصوص موجزة ذات دلالات قوية.

ثانيًا: تبلور النمط الأربعيني في القرن الثالث والرابع الهجري:

في القرنين الثالث والرابع، بدأ هذا النمط يأخذ شكلاً أكثر نضجًا، فقد سلك بعض العلماء مسلك الترتيب الموضوعي، فصنّفوا الأربعين على أبواب الفقه أو الأخلاق أو الترغيب والترهيب، كما فعل محمد بن أسلم الطوسي (ت: 242هـ)، الذي رتّب أربعينه على الموضوعات الفقهية.

وقد ساعدت عوامل علمية وتربوية على انتشار هذا النمط، من أبرزها:

- تطور منهج الشرح والتحليل للأحاديث.
- الحاجة إلى تلخيص المعاني الشرعية في متون يسهل استيعابها.
- تداخل التصنيف مع أغراض تربوية ودعوية وأحيانًا صوفية.

ومن الأمثلة البارزة في هذه الفترة: "الأربعين التي حثّ النبي ﷺ على حفظها" للآجري (ت: 360هـ)، وهو أول من بدأ بشرح الأربعين وبيان معانيها.

ثالثًا: العصر الذهبي للأربعينات في القرنين الخامس والسادس:

بلغت كتب الأربعينات الحديثية أوج ازدهارها في القرنين الخامس والسادس، حيث تميّزت بالتنوع المنهجي والغنى الموضوعي، وظهر اتجاه واضح نحو التحقيق الحديثي والتخريج، كما عند الإمام البيهقي (ت: 458هـ) في "الأربعين الصغرى"، والفراوي وابن عساكر وغيرهم.

كما ظهر نمط الأربعين البلدانية الذي يجمع فيه المؤلف أربعين حديثًا يروي كلًّا منها عن شيخ من بلد مختلف، وهو ما يعكس الوعي الإسنادي والجغرافي في جمع الحديث، ويمثل هذا النمط مرحلة النضج الكامل للوعي السندي في التأليف الأربعيني.

رابعًا: استمرار التصنيف في العصور المتأخرة والمعاصرة:

لم يتوقف التأليف في كتب الأربعينات عند العصورالأولى، بل استمر في العصور المتأخرة، وبلغ في العصر الحديث درجة من التنوع الهائل، سواء في الموضوعات (العقيدة، التزكية، الأخلاق، النبوءات...) أو الأغراض (التعليم، الدعوة، الترغيب، الذكر).

وقد أحصى بعض الباحثين المعاصرين (مثل سهل بن رفاعي العود) أكثر من 500مؤلَّف في هذا الباب، ما بين مطبوع ومخطوط ومفقود، مما يدل على رسوخ هذا النمط في الوجدان العلمي الإسلامي، وقدرته على مواكبة حاجات الأمة العلمية والتربوية في مختلف العصور.

وخِتاما: إن نشأة كتب الأربعينات الحديثية وتطورها عبر العصور تعكس دينامية واضحة في توظيف الحديث النبوي لأغراض متعددة، علمية وتربوية وروحية، كما تبرز قدرة علماء الإسلام على صياغة مناهج تعليمية مبتكرة مستلهمة من نصوص السنة، وقد هيأت هذه النشأة التراكمية الساحة لبروز اتجاهات متمايزة في التأليف، أبرزها الاتجاه الصوفي، الذي سيناقشه البحث لاحقًا بوصفه نمطًا ذا طابع ذوقي وتربوي مميز.

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

المبحث الثاني: التطور المنهجي لمقاصد التأليف في كتب الأربعين

تمهيد:

لم يكن التأليف في كتب الأربعين الحديثية مجرّد استجابة لظاهرة عددية أو شكلية، بل تطوّر هذا النمط بمرور الزمن من الجمع العفوي إلى بناء علمي وتربوي هادف، وقد تعدّدت المقاصد التي دفعت العلماء لتأليف كتب الأربعين، فكانت تعبيرًا عن وعي منهجي متجدد، يربط بين علوم الحديث والمقاصد الشرعية، وبين النقل العلمي والتزكية السلوكية، ويهدف هذا المبحث إلى تتبّع التحوّلات التي طرأت على دوافع ومقاصد التأليف الأربعيني، منذ نشأته وحتى اكتماله في النماذج الصوفية والتربوية.

أولًا: المقصد التوثيقي في المرحلة التأسيسية:

في البدايات، كان مقصد التأليف في الأربعينات الحديثية توثيقيًا بحتًا، يتمثّل في جمع عدد من الأحاديث الصحيحة حول موضوع عام، أو من خلال إسناد واحد، أو على لسان راوٍ بعينه. وكان هذا الأسلوب أشبه بتدريبات علمية لطلبة الحديث في الإسناد، يعبّر عن قدرة المحدث على جمع الأربعين حديثًا بسند واحد، أو من أربعين شيخًا، أو في أربعين مجلسًا، ولم تكن الغاية حينئذٍ تربوية مباشرة، بل كانت مرتبطة أكثر بـ"فن الرواية" و"التمكن السندي" .

ثانيًا: المقصد العلمي الفقهي والتعليمي:

في مرحلة تالية، تطوّرت كتب الأربعينات لتخدم مقاصد فقهية وتعليمية، فبدأ المؤلفون يرتبون الأحاديث موضوعيًا بحسب أبواب العبادات أو المعاملات أو الآداب، وظهر ما يمكن تسميته بـ"الكتاب المدرسي الحديثي"، أي كتاب مختصر يُعلّم الطالب أهم أحاديث الدين في باب معين.

وقد واكب هذا المقصد تطور المدارس الفقهية والحديثية، وظهور الحاجة إلى تلخيص المادة الدينية في وحدات قابلة للحفظ والاستيعاب.

ثالثًا: المقصد التربوي والتزكوي:

برزت في القرون اللاحقة، خاصة مع تطور التصوف الإسلامي، مقاصد تربوية روحية جديدة لكتب الأربعينات، حيث اتجه المؤلفون إلى اختيار الأحاديث ذات الحمولة الأخلاقية والوجدانية، وربطوها بمقامات السلوك مثل: التوبة، الزهد، الإخلاص، المحبة، الصبر، الخوف، الرجاء، وغيرها، وتميّز هذا النمط بمنهجية ذوقية تعتمد على:

- انتقاء الأحاديث التي تخاطب الباطن لا الظاهر فقط.
- الشرح الإشاري الذي يتجاوز المعنى الظاهري للنص إلى أبعاده التربوية.
- ترتيب الأحاديث وفق منازل السالك، لا وفق أبواب الفقه.

وتُعد هذه المرحلة ذروة التفاعل بين الحديث النبوي والمنهج التربوي الصوفي، حيث تم دمج الوظيفة السندية بالوظيفة السلوكية في بناء نفسي وروحي متكامل.

رابعًا: المقاصد المعرفية والتقريبية في العصر الحديث:

مع تطور مناهج التعليم الحديث، وظهور الحاجة إلى تبسيط العلوم الشرعية لعامة الناس، بدأت كتب الأربعينات الحديثة تخدم مقاصد معرفية وتقريبية، منها:

- تقريب مفاهيم السنة.
- نشر الوعي الشرعي المبسّط.
- تعزيز القيم الأخلاقية والاجتماعية.

ويلاحظ في هذه المؤلفات اعتماد اللغة المعاصرة، والتفسير الاجتماعي والتربوي، ما يجعلها امتدادًا حداثيًّا لتلك الأغراض الكلاسيكية.

وختامًا؛ تكشف مسيرة كتب الأربعينات الحديثية عن تحوّلٍ منهجيٍّ عميق في مقاصد التأليف، انتقل فيه الاهتمام من التركيز على الإسناد والتوثيق إلى العناية بالتزكية والتعليم والتربية، بما يعكس تطورًا لافتًا في فهم دور الحديث النبوي في تشكيل الحياة الإسلامية وتوجيهها. وقد أتاح هذا التحوّل بروز مدارس متعددة في التأليف الأربعيني، كان أبرزها المدرسة الصوفية، التي أعادت توظيف الحديث في سياق ذوقي وتربوي خاص، يمزج بين المرجعية الشرعية والتجربة الروحية.
وسيكون هذا البعد الصوفي في التأليف موضع تحليل موسّع في المباحث اللاحقة من هذا البحث، للكشف عن منطق هذه المصنفات الداخلي، وخصائصها المنهجية والتربوية.

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

المبحث الثالث: العلاقة بين كتب الأربعينات والتصوف الإسلامي

تمهيد:

مثّلت كتب الأربعينات الحديثية ظاهرة متعددة الأبعاد في التراث الإسلامي، وقد كان من أبرز تجلياتها ارتباطها العميق بالتصوف الإسلامي، لا من حيث الموضوع فقط، بل من حيث المنهج والمقصد والروح؛ إذ أدرك المتصوفة باكرًا الإمكانات التربوية الكامنة في الحديث النبوي، فجعلوه محورًا لتزكية النفس، وتربية القلب، وتأسيس السير والسلوك، وجاء توظيفهم له ضمن مصنفات الأربعين تجسيدًا لتلك الرؤية الذوقية التربوية، ويسعى هذا المبحث إلى بيان أوجه العلاقة بين كتب الأربعينات والمنهج الصوفي، وشرح كيفية توظيف الحديث النبوي في سياق التربية الروحية والسلوك الأخلاقي.

أولًا: وحدة الغاية بين التصوف والأربعينات الحديثية:

يتقاطع مقصد كتب الأربعين مع غاية التصوف في بناء النفس وتطهيرها وتهذيبها، فقد كان جمع أربعين حديثًا – كما ورد في بعض الروايات – وسيلة لنيل الأجر والدخول في معية النبوة. وهذه المعاني تتناغم مع رؤية الصوفية في "الاقتراب من النبي ﷺ" عبر التخلّق بأخلاقه والامتثال لهديه.

فكما كان علم التصوف يسعى إلى التخلية والتحلية، كانت كتب الأربعينات الصوفية تسعى إلى اختزال جوهر السنة في أبواب سلوكية واضحة، وتقديمها للمريدين في صورة عملية، قابلة للحفظ والعمل والتأمل، مما يجعل الغاية التربوية المشتركة هي الجسر الأعمق بين الجانبين.

ثانيًا: تأصيل المسلك الصوفي بالحديث النبوي:

حرص المتصوفة منذ القرن الثالث الهجري على تأصيل طريقتهم التربوية والنفسية بنصوص من الكتاب والسنة، ردًّا على من اتهم التصوف بالبدعة أو الغلو، فجاءت كتب الأربعين لتكون شاهدًا على هذا التوجّه، ولم تكن الأحاديث المختارة في هذه المصنفات انتقاءً عشوائيًّا، بل كانت تعكس فهماً ذوقياً لمقامات الطريق، وتعتمد على "توجيه نبوي مباشر" في تهذيب النفس وبيان مراتب الإيمان والإحسان.

ثالثًا: النزعة التربوية الذوقية في منهج الصوفية:

تميّز الصوفية في تأليفهم الأربعيني بمنهج فريد، يقوم على:

- اختيار الأحاديث بحسب مقامات السلوك)كالتوبة، الإخلاص، المحبة، الخوف، الرجاء...).
- الشرح الإشاري، الذي يتجاوز ظاهر النص إلى دلالاته الباطنية والروحية.

- الترتيب الذوقي للأحاديث بما يحاكي مسيرة المريد في طريق الله.
- الاختصار والتكثيف، حيث تُعرض المعاني الكبيرة بصياغات موجزة ومُلهمة.

وهذا كله يجعل من كتب الأربعينات الصوفية خريطة ذوقية عملية للمريد، تبدأ من التوبة وتنتهي بالمحبة أو الرضا، ويُربّى فيها على الانتقال من مقام إلى مقام كما ينتقل من حديث إلى آخر.

رابعًا: المزج بين الحديث والحِكم الصوفية:

من ملامح العلاقة العميقة بين التصوف وكتب الأربعين، ميل بعض المتصوفة إلى مزج الحديث بالحِكم والأقوال الصوفية والشعر التربوي، مما يُنتج خطابًا تربويًا مركبًا يجمع بين النور النبوي وإشراق الذوق، وتأتي هذه الطريقة لتجعل من الحديث النبوي مصدرًا "حيًّا" لا يقرأ فقط، بل يُتذوَّق ويُعاش، ويُسقى بالحكمة لتُثمر في القلب.

خامسًا: تجذر النمط الأربعيني في الثقافة التربوية الصوفية:

تحوّلت كتب الأربعينات إلى أدوات تربوية، وأصبح حفظ "أربعين حديثًا في السلوك" شرطًا من شروط التربية الصوفية عند بعض الطرق، أو وسيلة لإقامة المجالس التعليمية للمريدين، وبهذا، لم تعد كتب الأربعين مجرد نصوص علمية، بل وظائف عملية في البناء السلوكي الفردي والجماعي، تُقرأ في المجالس، وتُتداول في التزكيات، وتُؤلف بحسب مقامات الطريق.

وختامًا؛ فإن العلاقة بين كتب الأربعينات الحديثية والمنظومة الصوفية تتجاوز كونها علاقة موضوعية سطحية أو مجرّد تقاطع عابر في مضامين النصوص، لتشكّل مظهرًا من مظاهر التفاعل العميق بين الرواية الحديثية والتجربة الروحية الإسلامية، فقد أسهم المتصوفة من خلال هذه المصنفات في توظيف الحديث النبوي توظيفًا ذوقيًّا وتربويًّا، لا يُفرّط في الأصالة العلمية، ولا يُغفل المقاصد السلوكية، إنها علاقة تأسيس وبناء، لا مجرد توارد؛ علاقة جعلت من الحديث النبوي سلّمًا للترقّي الروحي، وأداة لتشكيل الشخصية الإيمانية في أبعادها السلوكية والوجدانية، وهو ما يجعل دراسة هذه الكتب ضرورة علمية لفهم التكامل بين علوم الوحي ومسارات التزكية في الفكر الإسلامي.

المبحث الرابع: نماذج من كتب الأربعينات في التصوف (عرض وتحليل أولي)

تمهيد:

إن التوجه الصوفي في تأليف كتب الأربعينات الحديثية لم يكن تيارًا هامشيًا في مسار التأليف الإسلامي، بل شكّل نسقًا معرفيًا وروحيًا قائمًا بذاته، انبنى على مزج الحديث النبوي بذوق السلوك، وتأصيل التزكية بمتن السنة، وقد ظهرت عشرات المصنفات الأربعينية ذات الطابع الصوفي منذ القرن الرابع الهجري، عكست تنوعًا في المنهج والمقصد، واختلافًا في البناء الداخلي والتوظيف التربوي، ويهدف هذا المبحث إلى تقديم عرض تحليلي أولي لعدد من هذه النماذج، تمهيدًا لدراسة معمقة في الفصول اللاحقة.

أولًا: كتاب "الأربعين في التصوف" لأبي منصور الأصفهاني (ت:418هـ)

يُعد هذا الكتاب من أوائل المؤلفات التي ربطت بين الحديث النبوي والمقامات الصوفية بشكل مباشر؛ جمع فيه المؤلف أربعين حديثًا انتقاها بدقة لتعكس أهم أبواب السلوك، مثل: الإخلاص، التواضع، الزهد، الخشية، الرضا، وغيرها.

الخصائص المنهجية:

- يغلب عليه الشرح الإشاري الموجز، دون الخوض في الإسناد أو التخريج.
- يعتمد على الترتيب الذوقي لمنازل السير، حيث يبدأ بالتوبة وينتهي بالمحبة.
- يمزج بين الحديث والحكمة الصوفية، ويوظف الشعر الروحي توظيفًا تربويًا.

التحليل الأولي:

- يُعدّ هذا الكتاب شاهدًا مبكرًا على إدماج الحديث في البناء التربوي الصوفي.
- يعكس وعيًا بمقاصد التربية الذوقية أكثر من العناية بالصنعة الحديثية التقليدية.

ثانيًا: كتاب "الأربعين " لأبي نعيم الأصفهاني (ت:430هـ)

أبو نعيم من كبار المحدثين الذين دمجوا بين علم الرواية والتصوف، وقد ألف هذه الأربعين في إطار أخلاقي واضح، انتقى فيها أحاديث تعالج أمهات الفضائل السلوكية، وجعلها مرآة للسالكين.

الخصائص المنهجية:

- يورد الحديث بإسناده، مع اهتمام ظاهري بالثبوت.
- يشرح الأحاديث بعبارات مختصرة ذات طابع وعظي، تميل إلى التزكية لا الفقه.

- يربط المعنى الظاهري للسنة بـ"أخلاق الطريق"، كأن الحديث خريطة تهذيب.

التحليل الأولي:

- يمثل الكتاب تمازجًا واضحًا بين المنهج المحدثي والمدرسة الأخلاقية الصوفية.
- يفتح المجال لتوظيف السنة في التأمل الذاتي دون الإخلال بمرجعيتها الشرعية.

ثالثًا: أربعون حديثًا للسلمي (ت:412هـ) في مقامات السلوك

أبو عبد الرحمن السلمي يُعد من أوائل من أعطوا للحديث بعدًا وظيفيًا في مجال التربية الصوفية؛ جمع أربعين حديثًا في موضوعات ترتبط بأحوال القلوب، وجعلها أساسًا لمجالس الذكر والتعليم.

الخصائص المنهجية:

- يقدم الحديث دون إسناد طويل، مكتفيًا بالمتن المختار.
- يربط كل حديث بمقام: (الورع، المحاسبة، الصبر، التوكل، إلخ).

التحليل الأولي:

- يتضح في مؤلفاته أن الحديث ليس للبركة فقط، بل أداة إصلاح وتزكية.
- كتب السلمي تُعد من النماذج التأسيسية في التوظيف الذوقي التربوي للحديث.

وختاما؛ فإن النماذج المدروسة من كتب الأربعينات الصوفية تكشف عن طيف واسع من التوجهات المنهجية والمقاصد التربوية، لكنها تجتمع جميعًا في ركيزة أساسية :الاستمداد من الحديث النبوي لتأسيس السير والسلوك إلى الله، وقد جمعت هذه الكتب بين البعد الشرعي والبعد الذوقي، وأصبحت مع الزمن أدوات تربية قلبية وروحية، تُستثمر في المجالس، ولا تزال فاعلة حتى اليوم في بناء الشخصية الصوفية التربوية.

الفصل الثاني: إشكالية البحث وأهدافه

المبحث الأول: مشكلة البحث وتساؤلاته الرئيسة

تمهيد:

يمثّل تحديد المشكلة العلمية نقطة الانطلاق الأساسية لأي بحث أكاديمي؛ إذ إن صياغتها بدقة تكشف عن الوعي بالفراغ المعرفي الذي يسعى الباحث إلى ملئه، وتوجّه جهود البحث نحو معالجة ذلك الإشكال بصورة منهجية، وفي هذا السياق، تتبلور مشكلة هذا البحث في محاولة فهم الطبيعة المنهجية والتربوية لكتب الأربعينات الحديثية ذات التوجه الصوفي، والكشف عن آليات توظيف الحديث النبوي في السياق الذوقي والسلوكي عند المتصوفة، مع تحليل تلك الظاهرة باعتبارها نمطًا من أنماط التأليف التربوي في علوم الحديث.

فمع وفرة الدراسات التي تناولت "كتب الأربعين" من منظور حديثي عام، وقلّة من تناولها من زاوية مقاصدية أو سلوكية، يبرز هذا البحث لسدّ فراغ معرفي في فهم الربط بين الصناعة الحديثية والمنهج التربوي الصوفي، وذلك عبر تحليل البنية المنهجية لهذه الكتب، ومقاصد التأليف فيها، وخصوصيتها داخل الحقل الصوفي، وتطورها عبر الزمان.

إشكالية البحث:

تدور إشكالية هذا البحث حول التساؤل المركزي الآتي:

كيف وظّف المتصوفة الحديث النبوي في كتب الأربعينات لتأسيس خطاب تربوي وذوقي، وما الخصائص المنهجية والمقاصدية التي تميّز هذا النمط من التأليف عن غيره من مصنفات الحديث؟

ويتفرّع عن هذه الإشكالية الرئيسة مجموعة من التساؤلات الفرعية:

1. ما السياق التاريخي والعلمي الذي نشأت فيه كتب الأربعينات الحديثية؟ وكيف تطوّر مقصد التأليف فيها؟
2. ما دوافع المتصوفة لتبنّي نمط الأربعين الحديثية تحديدًا؟ ولماذا فضّلوه على غيره من صيغ التدوين؟
3. كيف تتجلّى الرؤية الذوقية الصوفية في منهج اختيار الأحاديث وترتيبها وشرحها؟
4. ما الخصائص المنهجية لكتب الأربعينات ذات التوجه الصوفي مقارنة بالاتجاهات الحديثية التقليدية؟
5. كيف انعكست المقامات الصوفية والمفاهيم التربوية في بناء هذه الكتب؟ وهل يمكن اعتبارها أدوات تربية روحية متكاملة؟

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI SUNAN GUNUNG DJATI BANDUNG

6. ما النماذج البارزة من هذه الكتب؟ وما سماتها التربوية والذوقية؟
7. إلى أي مدى حافظت هذه الكتب على المعايير الحديثية؟ وهل وقع أصحابها في التجاوز أو الإهمال العلمي؟
8. ما مدى فاعلية هذه المؤلفات في الواقع الصوفي التربوي، وما أثرها في ثقافة التعليم الروحي داخل الزوايا والرباطات؟

خاتمة المبحث: إن تحديد هذه الإشكالية والتساؤلات المنبثقة عنها يمثّل الإطار الذي ينطلق منه هذا البحث، ويوجّه تحليل المادة العلمية ضمن فصوله ومباحثه المتعددة، كما أن هذه التساؤلات لا تُعالج من منطلق نظري مجرد، بل من خلال دراسة نصوص حقيقية لمؤلفات الأربعينات الصوفية، وتحليلها ضمن نسقها التاريخي والتربوي، للوصول إلى بناء علمي يدمج بين علوم الحديث والتصوف في ضوء منهج علمي متكامل.

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

المبحث الثاني: أهداف البحث

تمهيد:

تُبنى الأهداف البحثية في العمل الأكاديمي على ضوء الإشكالية المحددة وتساؤلاتها، حيث تعبّر هذه الأهداف عن الغايات المعرفية والمنهجية التي يسعى الباحث إلى تحقيقها، وفي هذا السياق، فإن هذا البحث لا يقتصر على تقديم قراءة وصفية لكتب الأربعينات الحديثية ذات النزعة الصوفية، بل يسعى إلى تحليل بنيوي ومنهجي وتربوي يكشف عن خصوصيتها في النسق العلمي الإسلامي، ويُبرز أبعادها الذوقية والمقاصدية. وعليه، تنقسم أهداف البحث إلى أهداف عامة، وأخرى تفصيلية.

أولًا: الهدف العام:

يهدف البحث إلى: تحليل البناء المنهجي والمقاصدي لكتب الأربعينات الحديثية ذات التوجه الصوفي، وبيان دورها في توظيف الحديث النبوي في سياق التربية الروحية والسلوك الذوقي، مع تقييم خصائصها العلمية ضمن الصناعة الحديثية.

ثانيًا: الأهداف التفصيلية:

1. رصد النشأة التاريخية لظاهرة الأربعينات الحديثية، وتتبع تطورها عبر العصور.
2. تحليل مقاصد التأليف في هذا النوع من الكتب، ومراحل تطور تلك المقاصد من التوثيق إلى التربية.
3. تسليط الضوء على العلاقة البنيوية بين التصوف وكتب الأربعينات، وبيان كيف شكّل التصوف إطارًا وظيفيًا لهذا النمط من التأليف.
4. دراسة المنهج الصوفي في اختيار الأحاديث وترتيبها وشرحها، وتحديد خصائصه مقارنة بالمناهج الحديثية التقليدية.
5. عرض نماذج مختارة من كتب الأربعينات الصوفية، وتحليل بنيتها الداخلية، ومناهجها، ومقاصدها.
6. تقييم مدى التزام هذه الكتب بالمعايير الحديثية من حيث الصحة والتخريج والسند.
7. استكشاف الأثر التربوي لهذه الكتب في الواقع الصوفي العملي، ومدى فاعليتها في ترسيخ مقامات السلوك عند المريدين.
8. المساهمة في إثراء الدراسات المعاصرة التي تربط بين الحديث النبوي والتربية الصوفية، وتقديم تصور منهجي جامع بين التراث العلمي والذوقي.

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

خاتمة المبحث: من خلال هذه الأهداف يسعى البحث إلى تجاوز الرؤية الشكلية لمصنفات الأربعين الصوفية، باتجاه تحليلٍ معمّقٍ يجمع بين النقد الحديثي والتحليل التربوي، كما تمثل هذه الأهداف محاور استراتيجية توجه الدراسة، وتساعد في بناء نتائج علمية دقيقة يمكن الإفادة منها في مجالات التأليف، والتعليم، والتزكية الروحية.

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

المبحث الثالث: أهمية الدراسة ودوافع اختيار الموضوع

تمهيد:

تتجلى أهمية أي بحث علمي من خلال مساهمته في ملء فجوة معرفية، أو تقديم معالجة جديدة لقضية قائمة، أو إضاءة جوانب مهملة في تراث الأمة الفكري والعلمي، وتبرز أهمية هذه الدراسة من كونها تتناول موضوعًا مركّبًا يقع في تقاطع ميدانيْن معرفيَّيْن هما: علوم الحديث والتصوف الإسلامي، وذلك عبر نمط تأليفي فريد تمثل في كتب الأربعينات الحديثية ذات النزعة الصوفية، وتكشف هذه الكتب عن رؤية تربوية عميقة للسنة النبوية، تستحق الوقوف عندها بالتحليل والموازنة.

أولًا: أهمية الدراسة:

1. كشف بعدٍ مهمّ من توظيف الحديث النبوي في المجال التربوي الصوفي، وهو مجال لم ينل حظه الكافي من الدراسة والتحليل ضمن علوم الحديث.
2. تسليط الضوء على نمط تأليفي تقليدي (الأربعينات) بوصفه أداة منهجية لبناء المقامات الروحية، مما يساعد على فهم آلية تحويل النص إلى خطاب ذوقي عملي.
3. المساهمة في تجسير العلاقة بين علم الحديث وعلم التصوف، وتجاوز النظرة القاصرة التي ترى التصوف منفصلًا عن أصول الوحي أو مقطوع الصلة بالمناهج العلمية.
4. تحليل الخطاب التربوي الصوفي من خلال مصادره الحديثية، بدلًا من النظر إليه كظاهرة ذوقية مجردة.
5. تقديم إطار علمي مقارن يمكن أن يُفيد الباحثين في علوم الشريعة والتربية الإسلامية عند دراسة أثر السنة في بناء الشخصية الروحية.
6. تحفيز الاهتمام الأكاديمي بالأنماط المختصرة من التأليف، مثل الأربعينات، والكشف عن وظائفها التربوية والتعليمية عبر العصور.

ثانيًا: دوافع اختيار الموضوع:

1. الفراغ البحثي الواضح في تناول ظاهرة "الأربعينات الصوفية" بمنهج يجمع بين التحليل الحديثي والدراسة التربوية.
2. الاهتمام الشخصي للباحث بمجاليْ علوم الحديث والتصوف، وما بينهما من تفاعل معرفي ومنهجي عميق.
3. رغبة الباحث في إعادة قراءة التراث التربوي الإسلامي في ضوء منهجية علمية تكشف عن أبعاده التطبيقية، بعيدًا عن القراءة الانتقائية أو الانطباعية.

4. أهمية الموضوع في الواقع المعاصر، حيث تتجدد الحاجة إلى نماذج تربوية متوازنة تستند إلى الوحي، وتقدّم التربية الروحية بأسلوب علمي موثوق.
5. إثراء المكتبة الأكاديمية العربية ببحث تخصصي يجمع بين الصناعة الحديثية والتحليل الذوقي التربوي.
6. إمكانية الإفادة العملية من نتائج البحث في مجالات التربية الإسلامية، والتعليم الصوفي، والبرامج التزكوية، والدعوة الإصلاحية.

خاتمة المبحث: تُبرز أهمية هذه الدراسة ودوافع اختيار موضوعها الحاجة الماسّة إلى تحليل مركّب يجمع بين البعد النصّي والبعد التربوي في النظر إلى الحديث النبوي، وتوظيفه في بناء السلوك الإيماني، كما تعكس حرص الباحث على المساهمة في بناء فهم علمي عميق لهذه الظاهرة التأليفية، بما يخدم تراث الأمة، ويُسهم في تجديد وظيفته في الحياة الروحية والتربوية المعاصرة.

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

الفصل الثالث: حدود البحث ومجاله

المبحث الأول: الحدود الموضوعية (نطاق الظاهرة الحديثية الصوفية)

تمهيد:

يمثل تحديد الحدود الموضوعية للبحث خطوة ضرورية في ضبط نطاق الدراسة وترشيد مسارها المنهجي، من خلال بيان ما يشمله البحث من مفاهيم ومحاور، وما يستثنيه من موضوعات متشابهة أو متداخلة، وفي هذا السياق، يركّز هذا البحث على ظاهرة معرفية خاصة داخل علوم الحديث، وهي كتب الأربعينات الحديثية ذات التوجه الصوفي، من حيث نشأتها، ومقاصدها، وبُنيتها المنهجية، وأثرها التربوي في التكوين الصوفي؛ وعليه، فإن هذه الدراسة لا تتناول جميع كتب الأربعينات، ولا جميع أشكال التأليف الصوفي، بل تختص بمقطع معرفي محدود ومعرّف بدقة.

أولًا: طبيعة الظاهرة المدروسة:

تُعنى هذه الدراسة بظاهرة "الأربعينات الحديثية الصوفية"، وهي مصنفات:

- تجمع أربعين حديثًا نبويًّا.
- تُنتقى فيها الأحاديث بناءً على مقامات السلوك وموضوعات التزكية.
- تُكتب بروح ذوقية وتربوية صوفية.
- تتسم بالشروح الإشارية، والترتيب المقامي، والتوظيف العملي للحديث.

وهذه الظاهرة تختلف عن:

- كتب الأربعين الفقهية أو العقدية أو العامة.
- كتب التصوف الخالية من البناء الحديثي.
- كتب الحديث الموسعة كالمسانيد أو الصحاح أو السنن أو الجوامع.

ثانيًا: الموضوعات التي تشملها الدراسة:

تتناول الدراسة الموضوعات التالية:

1. نشأة كتب الأربعينات وتطورها ضمن السياق العلمي الإسلامي.
2. دوافع التصوف في اختيار نمط الأربعين الحديثية.
3. خصائص التأليف الحديثي عند المتصوفة (انتقاء – ترتيب – شرح).

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

4. العلاقة بين الحديث النبوي والتربية الصوفية.
5. نماذج تطبيقية مختارة من كتب الأربعينات الصوفية.
6. تحليل المقاصد التربوية والمنهجية لهذه الكتب.
7. حدود الالتزام بالصنعة الحديثية في هذه المصنفات.

ثالثًا: الجوانب المستثناة من الدراسة:

لا تشمل هذه الدراسة الموضوعات التالية:

- دراسة تفصيلية لجميع كتب الأربعينات، سواء كانت فقهية أو حديثية عامة.
- دراسة الأسانيد تخريجًا وتحقيقًا مفصلًا.
- الحكم التفصيلي على صحة الأحاديث أو ضعفها.
- تحليل التصوف كعلم مستقل خارج سياق العلاقة مع الحديث النبوي.
- دراسة مقارنة شاملة بين كل مناهج التأليف الأربعيني في المذاهب الإسلامية.

خاتمة المبحث: تُحدّد هذه الحدود الموضوعية بدقة المجال المعرفي الذي تتحرك فيه الدراسة، وتضبط نطاقها ضمن "التأليف الأربعيني الصوفي الحديثي"، وهو مقطع معرفي خاص يجمع بين الصناعة الحديثية والرؤية الذوقية التربوية، وقد حرص الباحث على التقيّد بهذه الحدود لتحصيل الفائدة الأكاديمية المركّزة، وتجنب التوسع الذي قد يُضعف التركيز أو يخرج بالبحث عن مساره الأصلي.

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

المبحث الثاني: الحدود الزمانية والمكانية

تمهيد:

تمثل الحدود الزمانية والمكانية أحد أبعاد ضبط مجال البحث، إذ إنها تسهم في تحديد السياق التاريخي والجغرافي للنصوص والمصنفات التي تقع ضمن نطاق الدراسة، وقد حرص الباحث في هذا البحث على رسم هاتين الدائرتين بوضوح، بما يخدم أهداف البحث ويضبط بياناته ومصادره.

أولًا: الحدود الزمانية:

تغطي الدراسة الفترة الممتدة تقريبًا من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)(، وهي المرحلة التي برز فيها التدوين الصوفي الحديثي بشكل واضح، وحتى القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، وهو الزمن الذي استقرت فيه معظم طرائق التصنيف الصوفي في كتب الأربعينات، وتبلورت فيه مناهج الزوايا والطرق.

وقد تم اختيار هذا الإطار الزمني لأسباب علمية، أبرزها:

- كون القرن الرابع هو البداية الحقيقية لظهور كتب الأربعين ذات الطابع الصوفي، كما عند أبي عبد الرحمن السلمي وأبي منصور الأصفهاني.
- توفّر المادة المخطوطة والمطبوعة في هذه الحقبة، ما يتيح قراءة تحليلية ونقدية لنصوص أصلية.
- ثبات مناهج التصنيف الصوفي في تلك الفترة، وتكرار بعض الخصائص البنيوية والتربوية التي تمثل النموذج الأوضح للظاهرة محل الدراسة.

أما ما بعد القرن العاشر الهجري، فإن كثيرًا من المؤلفات الأربعينية في التصوف بدأت تميل إلى التكرار، أو إلى صيغ أدبية وعظية لا تعكس المنهج التأصيلي الصوفي الأصيل الذي تشكّل في القرون السابقة، وإن كانت لا تخلو من أهمية تربوية.

ثانيًا: الحدود المكانية:

تركز الدراسة على نماذج من مؤلفات البيئة الإسلامية الشرقية، ولا سيما:

- خراسان وأصبهان (مركز نشاط السلمي وأبي نعيم).
- العراق والحجاز (مراكز العلم والحديث والزهد).
- الشام ومصر (حيث نشأت بعض المدارس الصوفية ذات العناية بالحديث).

- كما تُشير أحيانًا إلى نماذج من المغرب والأندلس، عند الحاجة، إذا كانت تنتمي بوضوح إلى النمط الصوفي في التأليف الأربعيني.

وقد تم اختيار هذه البيئة الجغرافية باعتبارها:

- مهد نشأة التصوف المؤصَّل بالحديث، لا سيما خراسان.
- بيئة حاضنة لكبار علماء الحديث والصوفية في وقت واحد.
- مراكز علمية نشط فيها التصنيف في الأربعينات، وتداخل فيها الخطاب الذوقي مع العلمي.

ولا تتناول الدراسة المؤلفات التي نشأت في البيئات المعزولة عن التقاليد الحديثية والصوفية الكبرى، أو المؤلفات المتأخرة التي فقدت العلاقة بالمنهج الصوفي الحديثي المبكر.

خاتمة المبحث: تُبرز هذه الحدود الزمانية والمكانية سعي الباحث إلى الالتزام بإطار معرفي دقيق، يسمح بدراسة الظاهرة في طور تشكّلها الأصيل ضمن سياقها الثقافي والتاريخي الطبيعي، وقد اقتُصِر على المرحلة التي برز فيها المزج الواعي بين الحديث النبوي والمنهج الصوفي، وعلى البيئات التي شهدت تفاعلًا حقيقيًا بين المحدثين والمتصوفة، لضمان التحليل العلمي الرصين وتجنّب التوسّع المخلّ بالمنهج.

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

المبحث الثالث: حدود الدراسة في ضوء الأهداف والإمكانيات البحثية

تمهيد:

إنّ نجاح أي بحث علمي يعتمد على مدى قدرة الباحث على تحديد حدوده الواقعية ضمن الإمكانات المتاحة، والهدف العلمي المنشود، وفي ضوء الإشكالية المطروحة، وتساؤلات البحث، والأهداف المحددة سلفًا، عمد الباحث إلى ضبط مجال الدراسة وتضييق نطاقها بما يتوافق مع الطاقة البحثية المتاحة، من حيث المصادر والزمن والمنهج، لضمان تحقيق نتائج دقيقة، وعدم الوقوع في التشتّت المنهجي.

أولًا: الاقتصار على النمط الصوفي في التأليف الأربعيني:

اقتصر هذا البحث على دراسة كتب الأربعينات الحديثية التي تحمل طابعًا صوفيًا واضحًا، سواء من حيث غايتها التربوية أو طريقتها الذوقية في الشرح والترتيب، وتمّ استبعاد:

- كتب الأربعينات ذات الطابع الفقهي أو العقدي الخالص.
- الأربعينات العامة التي تفتقد للمنحى الذوقي والتربوي.
- المؤلفات الحديثة التي تكرّرت فيها المضامين دون إضافة منهجية واضحة.

وجاء هذا الحصر لضمان التعمق في النموذج الصوفي، وتحقيق قراءة تحليلية لا وصفية فقط.

ثانيًا: التركيز على النماذج الأصلية المعتمدة:

نظراً لاتساع مادّة التأليف في الأربعينات، تم اختيار مجموعة مختارة من الكتب، تُعد ممثلة لهذا اللون من التأليف من حيث:

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

- قِدَم النشأة.
- أصالة الصياغة الصوفية.
- وفرة المضامين التربوية.
- توافر المخطوطات أو الطبعات المحققة.

ومن النماذج المدروسة: أربعينات أبي منصور الأصفهاني، أبي نعيم الأصفهاني، السلمي، وبعض النماذج المتأخرة التي حافظت على الروح الأصلية للتأليف الذوقي الحديثي.

ثالثًا: حدود المنهج التحليلي والوظيفي:

اقتصر الجانب المنهجي على:

- التحليل النصي للمحتوى الحديثي من حيث البنية، الترتيب، الشرح، المقاصد.
- القراءة الوظيفية التربوية للنص الحديثي في السياق الصوفي.
- التقييم العلمي العام لمدى التزام هذه الكتب بالمعايير الحديثية، دون التوسع في التخريج أو التحقيق الدقيق لكل حديث، إذ إن ذلك يتطلب مشروعًا مستقلاً.

كما لم يُركّز البحث على الرد أو الجدل العقدي حول التصوف، بل تناول التصوف بوصفه نسقًا تربويًا له منهجه وأدواته وتأليفه الخاص.

رابعًا: مراعاة الإمكانات الزمانية والمرجعية:

نظرًا لمحدودية الوقت والموارد، اقتصرت الدراسة على:

- الكتب المتوفرة في المصادر المطبوعة والمخطوطة التي تم الوصول إليها.
- عدم الانخراط في المقارنة التفصيلية بين كل المدارس الصوفية، بل التركيز على البُعد المشترك في توظيف الحديث للتربية.

خاتمة المبحث: تساعد هذه الحدود في ضمان تركيز البحث على جوهر الظاهرة موضوع الدراسة، وتجنّب الإغراق في موضوعات جانبية أو موسعة قد تُضعف من دقة النتائج، وهي حدود منهجية مقصودة تعكس إدراك الباحث لطبيعة الظاهرة من جهة، ولإمكاناته البحثية والزمانية من جهة أخرى، ما يُسهم في إنتاج دراسة مركّزة يمكن البناء عليها مستقبلاً في دراسات أوسع وأشمل.

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

الفصل الرابع: الدراسات السابقة

تمهيد:

يمثّل الوقوف على الدراسات السابقة خطوةً جوهرية في البناء العلمي لأي بحث أكاديمي، إذ يُتيح للباحث فهم ما كُتب حول الموضوع، ويساعده على تحديد مواضع الالتقاء أو التمايز، ومواطن الإضافة أو التكرار، كما يتيح له فرصة لتقويم الجهد العلمي المبذول في المجال نفسه أو في مجالات متقاطعة معه، مما يرسّخ المنهجية ويعزز الموضوعية في معالجة الإشكالية البحثية، وفي هذا السياق، تتنوع الدراسات السابقة التي تتقاطع جزئيًا مع موضوع هذا البحث، ويمكن تصنيفها إلى قسمين رئيسين:

أولًا: دراسات علمية وقف عليها الباحث مباشرة: تندرج ضمن هذا القسم بعض البحوث التي تناولت كتب الأربعينات الحديثية بوجه عام، من حيث نشأتها أو بنيتها أو أهدافها، دون تخصيصها باتجاهٍ معيّن كالاتجاه الصوفي. وقد شكّلت هذه الدراسات خلفية مفيدة في تأصيل ظاهرة التأليف الأربعيني.

ثانيًا: دراسات لم يقف الباحث عليها مباشرة: ويدخل في هذا القسم بعض العناوين العلمية التي أُشير إليها في فهارس الرسائل الجامعية أو قواعد البيانات الإلكترونية، ولم يتمكّن الباحث من الاطلاع عليها بشكل مباشر، ولكنها –بحسب العناوين والمُلخّصات– تبدو متصلة بالموضوع من حيث العموم أو التداخل.

ومن الجدير بالذكر أن الباحث لم يقف –حتى تاريخ إعداد هذا البحث– على دراسات متخصصة تناولت كتب الأربعينات الصوفية تحديدًا من زاوية تجمع بين التحليل الذوقي والتقويم الحديثي، وهو ما يُبرز أهمية هذه الدراسة، ويُبيّن ما يمكن أن تُقدّمه من إضافة علمية في هذا المجال.

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

المبحث الأول: عرض الدراسات السابقة المتعلقة بالأربعينات الحديثية

تمهيد:

شهدت العقود الأخيرة اهتمامًا متزايدًا من الباحثين بدراسة كتب الأربعينات الحديثية، سواء من حيث نشأتها التاريخية، أو أهدافها التربوية والعلمية، أو مناهج مصنفيها، أو أثرها في حفظ السنة النبوية، وتنوّعت هذه الدراسات بين رسائل علمية وأبحاث محكّمة ومقالات أكاديمية، غير أن أغلبها ركّز على الجوانب الحديثية العامة، أو السياق التصنيفي، بينما قلّما تناولت هذه الدراسات التوجه الصوفي الذوقي في التأليف الأربعيني بوصفه نسقًا مستقلاً يستحق دراسة خاصة، ويستعرض هذا المبحث أبرز ما كُتب حول موضوع "الأربعينات الحديثية"، سواء وقف الباحث عليها مباشرة، أو ورد ذكرها في الفهارس والهوامش العلمية، مع الإشارة إلى أهم مضامينها ومنهجياتها.

أولًا: دراسات علمية وقف عليها الباحث:

1. زياد عبد الوهاب أوزون:

- الأربعينات الحديثية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد 27، عدد 1، 2011م.
- قدّم الباحث عرضًا تأصيليًا للأصل الذي دفع العلماء إلى هذا النمط من التصنيف، وبيّن من كانت له الريادة فيه، كما استعرض موضوعات شائعة في كتب الأربعين، وعرّف بمناهج مؤلفيها مرتبة على وفياتهم.
- القيمة العلمية: يُعد هذا البحث من أبرز الدراسات الوصفية التي تؤصل لظاهرة الأربعينات من منظور تاريخي ومقارن، دون التطرق إلى الأبعاد الذوقية أو الصوفية.

2. إسماعيل بن عبد الله:

- عناية علماء المغرب الأوسط بالأربعين حديثًا إلى غاية القرن العاشر الهجري، مجلة أنثروبولوجية الأديان، جامعة تلمسان، مجلد 16، عدد 1، 2020م.
- تناول الباحث جهود المحدثين في المغرب الأوسط في التأليف بالأربعينات، وتوقف عند وظائفها التعليمية والتربوية، ومكانتها ضمن أنواع الأجزاء الحديثية.
- القيمة العلمية: ركّز على البيئة المغاربية، مع اهتمام بامتداد التأليف إلى الجانب التربوي والدراسي، لكنه لم يتناول السياق الصوفي.

UIN
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

3. د. ياسر بن عبد الله السلمان:

- الأربعينات في السنة النبوية، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، مجلد 32، عدد 40، أكتوبر 2020م.
- بدأ البحث بنقد حديث "من حفظ على أمتي أربعين حديثًا"، مبرزًا ضعفه، ثم انتقل إلى مناقشة دلالة استمرار التأليف في الأربعينات رغم ضعف الحديث، واستعرض فوائد هذا اللون من المصنفات.
- القيمة العلمية: ناقش البعد النقدي الحديثي وموقف العلماء، مع إشارة غير مباشرة إلى المقاصد العامة، دون تناول البنية الصوفية.

4. أمين بن أحمد أنقيرة:

- إسهامات علماء الغرب الإسلامي في التصنيف في الحديث الشريف: الأربعينات الحديثية نموذجًا، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة، مجلد 13، عدد 1، 2021م.
- تناول الأنواع المختلفة للأربعينات (حسب الأحاديث أو الأبواب)، وبيّن تنوع المقاصد، وأثر البيئة الثقافية، وختم بعرض لمخطوطات الغرب الإسلامي.
- القيمة العلمية: مفيد من زاوية التاريخ والتنوع المقاصدي، لكنه لا يتناول الشروح الصوفية أو الذوق التربوي.

5. يعقوب يوسف محمد، وقاسم بستاني:

- أسباب ظهور الأربعينات – دراسة تحليلية، مجلة ميسان، مجلد 17، عدد 32، 2021م.
- الأربعينات في الميراث الإسلامي عرض ونقد، مجلة ميسان، مجلد 20، عدد 41، 2021م.
- ناقش الباحثان في المقالتين أسباب ظهور كتب الأربعين، وتطورها عبر الحقب، وفوائدها العلمية والتربوية، مع عرض نقدي لمفاهيم التأليف.
- القيمة العلمية: تقدّم المقالتان قراءة فكرية وتحليلية في الخلفيات الثقافية والفكرية، دون التعمق في خصوصيات الاتجاه الصوفي.

SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

6. شمس الدين بابي وآخرون:

- الأربعينات الحديثية في أدبيات ماليزيا، مجلة معالم القرآن والسنة، مجلد 19، عدد 2، 2023م.
- استعرضت المقالة نماذج من التأليف الأربعيني في السياق الماليزي، مبيّنة وفرتها وتنوع محتواها.
- القيمة العلمية: دراسة وثائقية محلية مفيدة، لكنّها خلت من المعالجة المنهجية أو الذوقية للصياغة التربوية.

7. سمير بدر محمد إبراهيم:

- البلدانيات الحديثية: دراسة في المنهج والأهمية التاريخية والحضارية، مجلة المؤرخ العربي، مجلد 2، عدد 31، 2023م.
- تناول ظاهرة البلدانيات ضمن مصنفات الأربعينات، كوثائق تاريخية تدل على تنوّع المدارس وامتدادها.
- القيمة العلمية: مهم في فهم إحدى صور التأليف الأربعيني (البلدانيات)، لكنه لا يعالج الجوانب التربوية أو الصوفية.

ثانيًا: دراسات لم يقف الباحث عليها مباشرة:

1. عبد القادر كاراهان: الأربعين حديثًا في الأدب الإسلامي، مجلة كلية الشريعة جامعة القرويين، المغرب، 1418هـ / 1997-1998م.
   - لم يتمكن الباحث من الحصول على نسخة، لكنها بحسب العنوان تتناول الجانب الأدبي للأربعينات.
2. محمد عويس عبد الرحيم محمود:
   - أثر الاتجاهات الثقافية في مختارات الأربعينات من كتب الحديث مع تحقيق كتاب الأربعين لأبي طاهر السلفي، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، 2006م.
   - بحسب الفهارس، يُتوقع أن تكون دراسة تحليلية ثقافية تهتم بالتوجهات الفكرية للمؤلفين.
3. محمد باعيسى: كتب الأربعين، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، الجزائر، 2015م.

4. شيماء عباس أحمد:

- كتب الأربعين في التصنيف الإسلامي: دراسة في الأسس والمناهج، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 2021م.

خاتمة المبحث: يتضح من هذا العرض أن الدراسات السابقة حول "كتب الأربعينات الحديثية" قد قدّمت جهدًا مهمًا في توثيق الظاهرة وتصنيفها وتحليل بعض جوانبها، ولا سيما في سياقها الحديثي والتاريخي، غير أن المنهج الصوفي في تأليف الأربعينات، وما يتفرع عنه من شروح ذوقية، ومقاصد تربوية، ونظم خاص للمقامات الروحية، لا يزال يحتاج إلى معالجة مستقلة ومركّزة، ومن هنا تأتي مساهمة هذا البحث في سد هذه الثغرة العلمية، عبر تحليل تأصيلي وتطبيقي لأبرز المصنفات الصوفية في هذا الباب.

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

المبحث الثاني: تقييم النقد الموضوعي لمضمون الدراسات السابقة

تمهيد:

إن تحليل الدراسات السابقة لا يكتمل بعرضها فحسب، بل يستلزم تقييمًا نقديًا موضوعيًا لمدى إسهامها في تطوير المعرفة المتعلقة بموضوع البحث، وذلك من خلال الوقوف على نقاط القوة والضعف، وحدود التناول، ومجالات التميز أو القصور، وفي ضوء عرض الدراسات المتعلقة بكتب الأربعينات الحديثية في المبحث السابق، يتبين أن هذه الدراسات – على تنوعها – أسهمت في تمهيد الطريق، لكنها لم تتناول الظاهرة موضوع البحث تناولًا شاملًا أو مركّبًا يجمع بين الصنعة الحديثية والمنهج الصوفي التربوي، وهو ما يسعى هذا البحث إلى تحقيقه.

أولًا: نقاط القوة في الدراسات السابقة:

1. غزارة المادة الوصفية والتوثيقية: برزت عدة دراسات، مثل دراسة زياد أوزون وسهل العود، في تقديم رصد واسع لأسماء المؤلفات الأربعينية، ومناهج التصنيف فيها، مما يشكّل أرضية توثيقية قوية يستفيد منها هذا البحث.
2. الاهتمام التاريخي والنشأتي: ركزت بعض الدراسات على البعد التاريخي لنشوء هذا النمط من التأليف، كالذي فعله يعقوب يوسف محمد وقاسم بستاني، بما يسهم في تتبّع تطور الظاهرة عبر العصور.
3. محاولة تصنيف الأغراض والمقاصد: حاول بعض الباحثين تحليل الأهداف من تأليف كتب الأربعين، كأمين أنقيرة، وإن جاء ذلك في إطار عام دون تعمق في مدارس محددة.
4. الربط بين التأليف الحديثي والثقافة الإسلامية: برز في بعض الدراسات تقديرٌ لدور الاتجاهات الثقافية والاجتماعية في تشكيل موضوعات الأربعينات، كما في دراسة محمد عويس (حسب الفهرسة)، مما يساعد في فهم الخلفية الفكرية للمؤلفين.

ثانيًا: أوجه القصور والفراغات البحثية:

1. غياب الدراسة المركبة للمنهج الصوفي الحديثي: لم تُخصّص أي من الدراسات السابقة – فيما وقف عليه الباحث – تحليلًا خاصًا للنمط الصوفي في كتب الأربعينات، من حيث خصائصه البنيوية، وطرائق اختياره للأحاديث، وتفسيره الذوقي، ومقاصده التربوية.
2. التعامل مع كتب الأربعين كظاهرة تصنيفية فقط: انطلقت معظم الدراسات من منظور شكلي أو موضوعي، غافلة عن الأثر الروحي والتربوي العميق الذي تمثّله هذه الكتب داخل البيئة الصوفية.

3. قلّة الدراسات التطبيقية على نماذج محددة: كثير من الأبحاث بقيت في مستوى العموميات، ولم تتناول تحليل النصوص، أو دراسة نماذج كاملة، أو إجراء قراءات داخلية لكتب الأربعين بنَفَس نقدي أو ذوقي أو سلوكي.
4. التركيز على الجوانب الحديثية النقدية التقليدية: رغم أهمية البعد الحديثي، إلا أن الاقتصار عليه – كما في بعض الدراسات التي ناقشت صحة الأحاديث أو ضعفها فقط – حجّم القدرة على اكتشاف الوظيفة التربوية التي اضطلع بها النص في البيئة الصوفية.

ثالثًا: تميز هذا البحث عن الدراسات السابقة:

يسعى هذا البحث إلى معالجة ما لم تتطرق إليه الدراسات السابقة، وذلك من خلال:

1. تحليل النمط الصوفي في كتب الأربعينات بوصفه منهجًا تربويًا قائماً بذاته، لا مجرّد اتجاه روحي عام.
2. إجراء قراءات تطبيقية لنماذج محددة من كتب الأربعين الصوفية، تحليلاً لمضامينها، وتفكيكًا لبُنيتها.
3. الجمع بين أدوات التحليل الحديثي والمفاهيم التربوية الذوقية، بما يعكس وحدة العلوم الإسلامية وتكاملها.
4. اقتراح تأصيل نظري لمقاصد التأليف الصوفي في الأربعينات، وربطها بالتصور الإسلامي لمنازل السلوك الإيماني.

خاتمة المبحث: على الرغم من الأهمية الكبيرة التي تمثلها الدراسات السابقة في إرساء الأساس الوصفي والتوثيقي لظاهرة الأربعينات الحديثية، إلا أن غياب المعالجة المتخصصة للنموذج الصوفي داخل هذا النمط من التأليف لا يزال يمثل فراغًا معرفيًا ملحوظًا، ومن هنا، فإن هذا البحث يسعى إلى المساهمة في سدّ هذه الثغرة، من خلال تقديم دراسة تحليلية تربوية لمنهج التصوف في بناء كتب الأربعين الحديثية، بما يخدم علوم الحديث والتربية الإسلامية في آنٍ واحد.

المبحث الثالث: التميّز والإضافة التي يقدمها هذا البحث

يمثل هذا البحث محاولة علمية رصينة للكشف عن ظاهرة "كتب الأربعينات الحديثية في التصوف الإسلامي" بمنهج يجمع بين الدقة الحديثية والرؤية التربوية الصوفية، ويُسهم في سدّ فراغ ملحوظ في الدراسات الحديثية المقارنة، ويمكن تبيين أوجه التميز والإضافة في النقاط الآتية:

أولًا: الجمع بين العِلمين (الحديث والتصوف) في إطار واحد:

لعل أبرز ما يميز هذا البحث هو جمعه بين المنهج التحقيقي لعلم الحديث، والذوق التربوي لعلم التصوف، دون إلغاء أحدهما لحساب الآخر، فقد تناول الباحث الأربعينات الحديثية الصوفية من منظور علمي رصين، قائم على تخريج النصوص وتحليلها سندًا ومتنًا، وفي ذات الوقت كشف عن مقاصد التصوف التربوية التي تتوسل بالأحاديث لتحقيق التزكية والسلوك.

ثانيًا: الإضافة المنهجية في تصنيف كتب الأربعينات:

أضاف البحث بعدًا تصنيفيًّا جديدًا يتمثل في قراءة كتب الأربعينات من حيث المقصد الصوفي والتربوي، وبيّن تميز هذه الكتب عن غيرها من المصنفات الحديثية بأنها ليست فقط وسيلة لنقل الحديث، بل وسيلة لبناء السلوك الروحي عند المريد، من خلال الترتيب الذوقي، والشرح الإشاري، والاقتصار على الأحاديث المؤثرة في النفس.

ثالثًا: تقديم تحليل دقيق لمناهج الصوفية في التأليف الأربعيني:

سعى البحث إلى تحليل البنية الداخلية لكتب الأربعينات الصوفية، وكشف عن منهج خاص للتصنيف عند الصوفية، يتجاوز المناهج الحديثية التقليدية، إلى بناء تربوي مقصود، يراعي السير والمقامات، ويخاطب القلب كما يخاطب العقل، وهو طرح لم يُعتنَ به تفصيليًا في أغلب الدراسات السابقة.

SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

رابعا: إثراء الدراسات المقارنة في العلوم الإسلامية:

يسهم هذا البحث في تعزيز ميدان الدراسات المقارنة بين الأنماط التأليفية في التراث الإسلامي، خصوصًا ما بين النمط العلمي (الحديثي) والنمط التربوي (الصوفي)، ويُعدّ خطوة تأسيسية لدراسات لاحقة تربط بين علوم النقل وعلوم التربية الروحية.

خامسًا: معالجة إشكال في الدراسات السابقة:

يشير البحث إلى وجود فراغ علمي واضح في معالجة هذا النوع من الكتب، حيث لم يُفرد من قبل بحث أكاديمي شامل يستوعب نشأة ومناهج وأهداف كتب الأربعينات الصوفية، ويُبرز هذا التمايز المعرفي، مما يجعل هذا العمل من أوائل الدراسات التي تُعنى بهذه الظاهرة في صورتها المتكاملة.